❖ فلفريدو باريتو ونظرية دورة الصفوة:

باريتو أول من استخدم مفهوم الصفوة (Elite) في دراسة طبيعة الجماعات الحاكمة والأسس التي تستند إليها في الحكم والأسلوب الذي تتغير به هذه الجماعات وتتبدل، ويمكن فهم نظرية الصفوة/النخبة لدى باريتو، بفهم نظريته في المجتمع عامة:

- لقد نظر باريتو إلى المجتمع على أنه نسق في حالة توازن، يتكون من مجموعة من العناصر المتوازنة التي تكون نسقه الكلي: العناصر الفيزيقية (كالتربة، المناخ، النبات، الحيوان،.، إلخ)، والعناصر الخارجية (المجتمعات الاخرى التي تتفاعل مع المجتمع)، ثم العناصر الداخلية (التي تتضمن السلالة والعواطف والمشاعر والايديولوجيات)، وقد كان باريتو ينظر إلى هذه العناصر أنها تتفاعل في منظومة واحدة، ولكنه أولى اهتماما خاصا للعوامل الداخلية الاخيرة، بتأكيده على أن هذه العناصر تشكل نسقا سلوكيا يمكن دراسته من خلال الافعال التي يأتيها الأفراد.
- أكد باريتو من خلال دراسته لهذه العوامل الداخلية أن المصالح والرغبات والرواسب والمشتقات تتجمع في نمطين للفعل الاجتماعي: أفعال منطقية وأخرى غير منطقية، حسب باريتو:
  - ✓ الفعل المنطقي *(logical action)* هو نموذج مثالي غير موجود في الواقع، يتحكم فيه العلم والمنطق، ولا يتأثر بالعواطف والمشاعر أو المصالح.
  - ✓ الفعل غير المنطقي *(non-logical action)*، هو النمط السائد في الواقع، تتحكم فيه العواطف والمشاعر والمصالح والايديولوجيات، يبرر بأفكار ومشتقات متغيرة،
  - ✓ ولكي يوضح باريتو الأسس التي يستند إليها الفعل غير المنطقي، استخدم باريتو مفاهيم الرواسب *(Rsiduese)* والمشتقات *(Derivations)*:
    - **الرواسب**: تشير إلى مجموعة من العناصر الثابتة والمستقرة التي تشكل الدوافع والمشاعر والعواطف الكامنة وراء الفعل غير المنطقي، حيث يشبه باريتو هذه السمات الثابتة بالنظريات غير العلمية التي تحكم هذا النوع من الفعل.
    - **المشتقات**: فهي الجوانب المتغيرة، التي تشير إلى مجموعة من الأساليب التي يبرر بها البشر أفعالهم ويشرحونها، فهذه التبريرات والافكار التي تشبه الأيديولوجيات المستخدمة لتبرير أفعال الناس، تتغير بتغير الظروف.
- أكثر الرواسب ارتباطا بنظرية باريتو في الصفوة/النخبة[1]، هما رواسب التكامل ورواسب استمرار الجماعات، حيث ترتبط رواسب التكامل: بالميل نحو الاعتماد على المهارات والقدرات (الذكاء، الخبرة، القدرة على التكامل والتواصل مع الغير، إلخ) نحو تحقيق الغايات؛ أما رواسب استمرار الجماعات: فترتبط بالميل نحو التصلب واستخدام القوة والرغبة في الدخول في "الصراع" المفتوح؛
- ويرى باريتو أن وجود هذين النوعين من الرواسب يخلق في بناء المجتمع الداخلي فيما يسميه "التوازن الاجتماعي"، فهذه الرواسب تؤدي إلى خلق التوازن بين من يملكون رواسب التكامل ومن يملكون رواسب الاستمرار، والفوز هنا مرهون باستخدام ما لدى الجماعة من قدرات رواسبية، وفي سياق تحليله هذا.

- قسم باريتو المجتمع إلى فئتين من الناس: **اللاصفوة** (Non-Elite): التي تمثل الشريحة الدنيا (low stratum) **الصفوة** (Elite): التي يعمل بعض اعضائها في السياسة وأمور الحكم فيشكلون صفوة حاكمة وبعضها يعمل في مجالات النشاط غير السياسي، أي أنهم من الصفوة يؤثرون ولا يحكمون.
- أما عن دورة النخبة/الصفوة (circulation of Elites): ففي هذه الدورة يرى باريتو ان الصفوة الحاكمة التي تنقسم إلى فئة أقدر على استخدام وسائل الخداع والذكاء (سماها جماعة الثعالب)؛ وجماعة أخرى تستخدم العنف والقوة لأنها تمثل رواسب الاستمرار (وسماها الاسود) لا تتربع على السلطة والحكم للأبد، ولكن يتشكل صراع بين الفئتين، فيتشكل ما يسمى بتداول النخب بين **النخبة الحاكمة** التي تشمل الاشخاص المعنيين بالحكم يلعبون أدوارا ولهم مكانة سياسية مرموقة في المجتمع؛ **والنخب غير الحاكمة** التي تشمل الاشخاص الذي ليس لهم علاقة بالحكم ولا يشغلون مناصب في الدولة ولكنهم يحتلون مكانا مرموقا في المجتمع ويؤثرون بطرق مختلفة.

ملخص نظرية باريتو في دورة النخبة/الصفوة:

- أن النخبة الحاكمة تتكون من فئتين: الثعالب (يعتمدون على الخداع والذكاء)، و الأسود (يعتمدون على العنف والقوة)، ولكن لا تبقى أي نخبة حاكمة في السلطة للأبد، فهناك صراع بين الثعالب والأسود، وهو ما يؤدي إلى تداول النخبة، ويرى باريتو في هذا الشأن أن دورة النخبة تحدث لأن هناك مجموعة من العوامل التي تساهم في تدهور النخبة(الفساد، عدم الكفاءة، فقدان الثقة) إلى غير النخبة وقد ترتفع غير النخبة إلى مستوى النخبة (الذكاء، القدرة، الدعم الشعبي).

ويرى باريتو أن يرى باريتو أن دورة النخبة ضرورية للحفاظ على التوازن في المجتمع.

لذلك فإن الباحثين في علم الاجتماع السياسي يجمعون على أن فلفريدو باريتو يميل فكره أكثر إلى الاساس النفسي في تأصيله لنظرية الحكم، ويرى أن الصفوة التي تحكم، تستخدم ما لديها من رواسب استخداما جيدا، وبالتالي قام باريتو باستبدال في التحليل الحتمية الاقتصادية الماركسية بحتمية نفسية، أي أساس سيكولوجي.

❖ موسكا وصياغة جديدة لمفهوم الطبقة الحاكمة:

- يتفق موسكا مع باريتو حول الطبقة الحاكمة كمفهوم للإشارة إلى تلك الفئة من الناس التي تتحكم في زمام القوى والتحكم في المجتمع، فمفهوم الطبقة الحاكمة عند موسكا يندرج ضمن محاولات تفريغ مفهوم الطبقة الحاكمة بالمعنى الماركسي ومضمونه الاقتصادي-المادي، نحو تقديم تفسير جديد يوسع من نطاقه.
- مفهوم الطبقة الحاكمة عند موسكا، ليست جماعة ذات مصالح رأسمالية، مثلما ذهب إليه ماركس، وإنما يشير إلى أقلية تحكم أغلبية من الأفراد، وهو ما يقربها من مفهوم الصفوة عند باريتو، حيث يشير موسكا إلى أن المجتمع ينقسم إلى فئات جماهيرية محكومة وأقلية حاكمة، أطلق عليها موسكا "الطبقة الحاكمة".
- يذهب موسكا إلى نفس التصور الذي حدده باريتو للنخبة، لاعتباره أن هذه الطبقة تستمد وجودها من ما تملكه من خصائص ذات قيمة عالية من وجهة نظر الأفراد في المجتمع (العلم، الجاه، الاخلاق، الثروة، المكانة الدينية، الاهتمام بالصالح العام، القوة والتحكم في السلطة العسكرية، القدرة التنظيمية،...).

- أكد موسكا على أن خاصية "القدرة التنظيمية" أهم الخصائص السالفة الذكر، لأن قوة الطبقة الحاكمة تنبع من كونها "أقلية منظمة" في مواجهة "أغلبية غير منظمة" أو تفتقر لإطار ينظمها.
- يذهب موسكا إلى أكثر من ذلك عندما أكد على أن كبر حجم المجتمع واتساعه لا يؤدي إلى مزيد من مشاركة الاغلبية في السلطة، بل العكس من ذلك، كلما ازداد حجم المجتمع واتسع نطاقه، مال حجم الاقلية الحاكمة إلى الصغر، كلما ضعفت فرص الأغلبية في المشاركة، ويصور موسكا هذه الفرضية كأنها قانون عام يحكم سلوك البشر دائما في كل زمان ومكان، وهذا ما يخلق حسب موسكا:
  - ✓ قانون سيكولوجي عام: يميل فيه البشر إلى النضال من أجل التفوق، مما يؤدي إلى تفوق البعض على البعض الآخر.
  - ✓ الاستعداد النفسي: لدى البشر رغبة في التفوق على الآخرين، مما يؤدي إلى تفوق الأقلية على الأغلبية.
- إذا موسكا، الذي يعتبر الطبقة الحاكمة هي الاقلية المنظمة التي تتحكم في زمام الامور في المجتمع، يرى ايضا ان تفوقها ليس فطريا وإنما ينبع من عوامل اجتماعية مثل الظروف الاسرية والوضع الاجتماعي والثروة؛ والاستعداد النفسي يتدعم من خلال العوامل التي أشرنا إليها.
- يرى موسكا أن هذه الاقلية التي تتميز بقدرة تنظيمية عالية تمكنها من الوصول إلى الحكم، تسعى فيما بعد دائما لخدمة مصالحها بتوجيه قدراتها التنظيمية، مما يؤدي إلى انفصالها عن المجتمع، فتنسى المصالح العامة التي كانت تدافع عنها في البداية.
- يشير موسكا أيضا إلى أن هذه الأقلية التي تحاول أن تستمر في الحكم وتدوم من خلال السيطرة على القوى الاجتماعية المختلفة مثل الجيش والاقتصاد والسياسة، قد تستخدم أساليب مختلفة تابعة من قدرتها التنظيمية، (كالدخول في الانتخابات في النظم الديمقراطية، واستخدام ما لديها من مصادر فكرية وأسرية واقتصادية ودينية في النظم الأخرى).
- وبالتالي القوة أو القدرة التنظيمية التي تمكن الأفراد أعضاء الأقلية الحاكمة أو الصفوة الحاكمة من الوصول إلى الحكم، لا يكفي لاستمرارها في الحكم واستقرارها، فهي تحتاج إلى جهود أخرى غير قدرتها التنظيمية، واللجوء إلى الاعتماد على مجموعة من المبادئ الأخلاقية العامة، التي تلقى قبولاً لدى الجماهير.
- ولاشك أن مجموعة المبادئ العامة التي أشار إليها موسكا هنا تشكل أيديولوجية الدولة، ولكنه لم يستخدم مفهوم الأيديولوجيا، وإنما استخدم مفهوم "الصيغة السياسية".
- مفهوم الصيغة السياسية عند موسكا والذي يقترب من مفهوم الأيديولوجيا الذي استخدمه ماركس ، يشير إلى "مجموعة الأسس التي تستند إليها الدولة في تدعيم استمرارها واستقرارها"، وتختلف الصيغ السياسية التي تستخدمها الحكومات باختلاف الفترات التاريخية (فكرة الحق الإلهي للملك، القومية والليبرالية).
- ومن هذا المنطلق يمكن التعرف على نظرية موسكا في التغير السياسي القائمة على فكرة أنه لا تستمر أي صيغة سياسية للأبد، بظهور أفراد من الطبقات الدنيا يسعون إلى الوصول إلى الحكم، حيث تشكل هذه الفئة "الأقلية الموجهة" دولة داخل الدولة، تمارس (هذه الأقلية) تأثيرًا كبيرًا على الجماهير يفوق ذلك الذي تمارسه الطبقة الحاكمة.

- وملخص كل ذلك، أن:
  - ✓ الصراع السياسي: يتبلور حول مصالح الجماعات المتصارعة، مثل الليبراليين والبيروقراطيين والأرستقراطيين.
  - ✓ الوصول إلى الحكم: يتطلب تنظيما داخليا وترابطًا كأقلية.
  - ✓ الاختلاف عن ماركس: الصراع بين صفوات وليس طبقات، ولا يرتبط بالاستغلال الاقتصادي.
  - ✓ مفهوم الطبقة الحاكمة: واسع ومرن، ويعتمد على ركائز ذاتية وموضوعية.
  - ✓ تركيز على النخبة: لا يشير موسكا إلى دور الجماهير في الصراع على السلطة.
  - ✓ تحليل غير شامل: لا يُقدم موسكا تحليلاً شاملاً لجميع عوامل الصراع السياسي.

❖ ميشيلز وقانون الاولجاركية:

- روبرت ميشيلز الذي انشغل بدراسة الأحزاب السياسية في ضوء الديمقراطية في المجتمعات الأوروبية، انطلق من فرضية "القانون الحديدي للأوليجاركية" التي وضعها موسكا، والتي تتحدث عن حكم الأقلية، حيث أكد ميشيلز أن الممارسات داخل التنظيمات الحزبية لا تؤدي إلى مشاركة جماهيرية في الحكم (أو لا تؤدى إلى توزيع القوة)، بل تؤدي إلى حكم الأقلية، وتركيز القوة في أيدي مجموعة قليلة من الأفراد (أوليجاركية) هو قانون عام يحكم السلوك التنظيمي، ومنه ينطلق ميشيلز من فرضية عامة تتصل بطبيعة الممارسات الديمقراطية في المجتمعات الأوروبية، والتي تكشف عن ميول نحو تركيز الحكم في أيدي قلة من الأفراد.
- ميشيلز من خلال فرضياته التي وضعته بجدارة داخل التراث الكلاسيكي لنظرية الصفوة، أكد:
  - ✓ على أهمية التنظيمات الحزبية وغير الحزبية لتحقيق امتيازات للطبقات العاملة، حيث أكد في هذا المجال أن مبدأ التنظيم يعد شرطاً ضروريا في النضال السياسي للجماهير.
  - ✓ التحول نحو الاليجارشية: لكنه أشار في نفس الوقت إلى المشكلة التي عانت منها الديمقراطية الغربية، وهي أن التنظيمات السياسية غالبا ما تتحول إلي تنظيمات تسيطر عليها قلة من الأفراد. وأرجع ميشيلز السبب في ذلك إلى عوامل سيكولوجية،
  - ✓ الجماهير حسب ميشيلز لا تستطيع أن تسيطر على التنظيمات السياسية؛ لأنها لديها الرغبة والاستعداد للخضوع للقادة، كما أنها تقع فريسة للدعاية والتأثيرات الخطابية للقادة.
- ويمكن تلخص العوامل التي تدفع بالديمقراطية إلى الأوليجاركية في ثلاثة عوامل رئيسية:
  - ✓ عوامل تتصل بالجماهير: (خضوع السيكولوجي للقادة، تأثر بوسائل الدعاية والإعلان).
  - ✓ عوامل تتصل بالقادة:(ميل نحو الانفصال عن القاعدة، تمسك بالسلطة وترك المكاسب).
  - ✓ عوامل تتصل بطبيعة التنظيمات السياسية: (نمو وتعقد بيروقراطي، حاجة إلى هيئة إدارية ذات خبرة وتدريب، صعوبة قيادة التنظيمات من قبل الجماهير، حاجة إلى قادة ذوي خبرة وكفاءة وقدرة تنظيمية).
- وهكذا فإن الديمقراطية بما تنتجه من مستويات للمشاركة الجماهيرية، لا تؤدى - في نظر ميشيلز - إلى مشاركة جماهيرية حقيقية؛ وإنما تنتهى بالضرورة إلى تحكم «قلة» من الأفراد في مجريات السياسة. وتشكل هؤلاء صفوة حاكمة أو «أوليجاركية». والسبب في ذلك يكمن في القانون الداخلي، الذي يحكم التنظيمات السياسية، وهو قانون التحول الدائم نحو حكم القلة، وهو ما أطلق عليه ميشيلز القانون الحديدى للأوليجاركية.

- يرى ميشيلز أن هناك دورة مستمرة في القيادة، حيث تتبادل الصفوة الحاكمة الأدوار مع جيل جديد من القادة. ويختلف ميشيلز مع باريتو في أن باريتو يرى أن هذه الدورة تتم بشكل قطعي، أي أن هناك انقطاعًا تامًا بين الجيلين، ويرى ميشيلز أن هناك اتصالًا وتداخلًا بين الجيل القديم والجديد (أنظر مثال الشرح في الملحق).
- يتضح من عرضنا الموجز لآراء ميشيلز إلى مدى تقاربه من صياغتي باريتو وموسكا، وإلى أي مدى يبتعد عن صياغة ماركس، ويمكن أن نقارن أفكار ميشيلز حول القيادة والطبقة في سياق هذه النظريات المختلفة

- **للحديث عن أوجه التشابه والاختلاف بين ميشيلز مع ماركس، باريتو وموسكا، (انظر ملحق الجداول)**

أهم الانتقادات الموجهة لاتجاه الصفوة الكلاسيكي

الانتقاد	*النقاط الرئيسية*
التركيز على العوامل النفسية	* إعطاء أهمية كبيرة للعوامل النفسية (الشخصية) على حساب متغيرات اجتماعية أكثر أهمية مثل القوة والقرارات السياسية. * صعوبة قياس العوامل الذاتية مثل "الرواسب" و"المشتقات" و"القدرة التنظيمية".
الافتقار إلى الموضوعية	* إهمال العوامل الموضوعية التي يمكن قياسها وضبطها تجريبيًا. * صعوبة تطبيق نظرياتهم على الواقع بسبب غموض بعض المفاهيم.
التناقض مع المبادئ العلمية	* زعمت نظريات الصفوة الكلاسيكية أنها تستند إلى علم موضوعي خالٍ من الأيديولوجية، لكنها فشلت في ذلك. *بقيت تحليلاتهم عامة حول السياسة والممارسة دون تقديم تفسيرات علمية دقيقة.
تجاهل دور الجماهير	* إهمال تحليل الديناميات العملية السياسية على مستوى الجماهير أو على المستويات المحلية. * اعتبار الجماهير جماعات سلبية لا إرادة لها وغير قادرة على المشاركة السياسية.
الفشل في تفسير التغير السياسي	* فشل نظريات الصفوة الكلاسيكية في تقديم افتراضات مقبولة حول التغير السياسي الجذري. * تركيز على دور قلة من الأفراد في الحكم دون توضيح كيفية عمل النظام السياسي وكيفية حدوث التغيير فيه.